

الفصل الأول

الإعدادُ بالإيمانِ باللهِ ﷻ وتوحيدهِ

مُقَدِّمَةُ الْفَصْلِ:

إنَّ الإِعْدَادَ بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ هُوَ أَوَّلُ وَأَعْظَمُ مَقْوَمٍ مِنْ مَقْوَمَاتِ الإِعْدَادِ الإِيْمَانِي لِأُمَّةٍ، وَأَوَّلُ طَرِيقِ الإِعْدَادِ بَلْ شَرْطُهُ وَمَبْتِغَاهُ! وَإِنْ أَوَّلُ مَا يُعَدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ بِشَكْلِ عَامٍ؛ إِعْدَاداً وَاجِباً وَجُوباً عَيْنِيّاً؛ هُوَ إِعْدَادُهُم بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ، بَلْ وَيُعَدُّ بِهِ الْمُسْلِمُ وَتُعَدُّ بِهِ الْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ بِشَكْلِ خَاصٍ لَزِيَادَةِ إِيْمَانِهَا، وَتَحْصِينِهَا، وَثَبَاتِهَا؛ قَالَ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ (القرآن. النساء 3: 136). أَي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا؛ أَعِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ.

فَالْإِيْمَانُ بِاللّهِ هُوَ الرِّكَانُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الإِيْمَانِ، وَلَأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ ﷻ الْكَوْنَ وَالْخَلْقَ أَجْمَعِينَ مَلَائِكَتِهِمْ، وَجَنَّتِهِمْ، وَإِنْسَهُمْ، وَلَأَجْلِ الإِيْمَانِ بِهِ ﷻ؛ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَأَقَامَ سَوْقَهُمَا، وَلَأَجْلِ الإِيْمَانِ بِهِ ﷻ؛ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَرْسَلَ الرِّسَالَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالصِّحَافَ بَيْنَاتٍ. بَلْ لَأَجْلِ تَحْقِيقِ الإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ يُعَدُّ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِالْإِيْمَانِ؛ فَالْإِيْمَانُ وَسِيلَةٌ وَغَايَةٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ!

وَسَيَنْتَظِمُ الْحَدِيثَ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِعْدَادِ الْإِنْسَانِ بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ وَفَقِ الْمَنْهَجَ الْقُرْآنِي وَالنَّبَوِيَّ

عَبْرَ ثَلَاثَةِ مَبَاحِثٍ؛ حُصِّصَ الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ مِنْهَا: لِبَيَانِ مَاهِيَةِ الإِعْدَادِ بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ وَأَهْمِيَّتِهِ، وَنَاقَشَ الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّعْرِيفَ بِأَبْرَزِ مَا يُعَدُّ بِهِ الْعَبْدُ فِي بَابِ الإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ، وَعَرَضَ الْمَبْحَثُ

الثَّلَاثُ: بَعْضَ الثَّمَارِ الْمَرْجُوعَةِ مِنَ الإِعْدَادِ بِالْإِيْمَانِ بِاللّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ.

المبحث الأول

ماهية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده، وأهميته

المطلب الأول: ماهية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده:

الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ يعني تهيئة الفرد إيمانياً وعقدياً؛ ليكون صاحب عقيدة الإيمان بالله ﷻ؛ فينعتد عليها قلبه بالتصديق الجازم، والإقرار الكامل^(٧٨)، بوجود الله ﷻ وتوحيده بأسمائه وصفاته، وألوهيته وربوبيته، والثقة بهذا الإيمان، والانقياد والخضوع له؛ حتى يستقر بالقلب ويطمئن له؛ فتظهر آثاره على اللسان، والجوارح والأركان، بزيادة أو نقصان؛ بحسب قوة وضعف الإيمان.

لذا فإن الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ يتحقق بأربع خطوات ومراحل رئيسة؛ أولها: إعداد العبد بالإيمان بوجود الرب (الله) ﷻ لذاته، وثانيها: إعداد العبد بمعرفة أسماء وصفات هذا الرب الموجود والإيمان بها، ثم ثالثها: إعداد العبد بالإيمان برؤية الرب ﷻ وتوحيده بأفعاله؛ كالخلق، والملك، والتدبير، ثم رابعها وأهمها: إعداد العبد بالإيمان بالوهية هذا الرب (الله) ﷻ وتوجيه عبادات وأفعال العباد بأنواعها له حباً وتعظيماً؛ فمن أعد نفسه بهذه الخطوات الأربع فقد حقق الإيمان بالله ﷻ والتوحيد كاملاً.

وخطوات الإعداد بالإيمان بالله ﷻ يجمعها قول الله ﷻ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (القرآن. مريم ١٩: ٦٥). فالسماوات والأرض وما بينهما دليل على وجود الله الموجد؛ وأنه هو الرب، "ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده، ووجده - أيها النبي - واصبر على طاعته أنت ومن تبعك، ليس كمثلته شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله"^(٧٩).

(٧٨) يُنظَر: ما سطره الباحث في تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً؛ تحت عنوان مفاهيم ومصطلحات الدراسة، في الفصل الأول، ص ٢٥.

(٧٩) نخبة من أساتذة التفسير. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. التفسير الميسر. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ص. ٣١٠.

المطلب الثاني: أهمية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده:

تتضح أهمية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده من حيث إن الإيمان بالله ﷻ أفضل الأعمال عند الله ﷻ وأحبها إليه؛ لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٨٠).

وإن أهم ما تُعدُّ به الأمة هو التوحيد، لأن حقيقة الإيمان بالله ﷻ وجوهره تكمن في توحيده ﷻ، فالتوحيد يُعدُّ الغاية التي لأجلها خلق الله ﷻ التقلين، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (القرآن، الذاريات ٥١: ٥٦). أي: "وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون"^(٨١).

وأُنزل الله الوحي بالكتب لتدل الناس على توحيده، قال ﷻ: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (القرآن، النحل ١٦: ٢). أي: "أنذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا، أي مُرُوهم بتوحيدي، وألا يشركوا بي شيئاً"^(٨٢).

فمثلاً هذا القرآن الكريم وهو خاتم الكتب وأعظمها؛ اشتملت آياته الكريمة على ذكر دعوة التوحيد بكثرة؛ ما يصعب حصرها؛ فلا تكاد تجد سورة إلا وفيها دعوة للتوحيد، فمثلاً وصف القرآن بأن الله لا إله إلا هو، مع وصف الذات الإلهية بالوحدانية؛ وما يقربها، ورد بأكثر من ٢٠٠ آية!^(٨٣)

فلا مبالغة إن قلنا إن القرآن كله توحيد من سورة الفاتحة في بدايته إلى سورة الناس في نهايته؛ فبدأ القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣) إِيَّاكَ

(٨٠) رواه البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الحج. باب فضل الحج المبرور. ج ٢: ص ١٣٣. رقم ١٥١٩.

(٨١) القرطبي. ١٣٨٤هـ. الجامع لأحكام القرآن. ج ١٧. ص ٥٥.

(٨٢) الزجاج. إبراهيم بن السري بن سهل. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. معاني القرآن وإعرابه. بيروت: عالم الكتب. ج ٣. ص ١٩٠.

(٨٣) ملاحظة: هذه الإحصائية؛ قام بها الباحث باستخدام برنامج: مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، الإصدار: ٢٠١. الصادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. مع ملاحظة أن الغاية منها بيان الكثرة فقط؛ وليس تحري الدقة والاستقصاء؛ والعدد؛ فقد تكون الأرقام أكثر.

تَعْبُدُوا إِلَهًا كَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٠﴾ (القرآن. الفاتحة: ١-٢-٥). تقريراً لوجود الله ﷻ، وأسمائه وصفاته، وربوبيته، وألوهيته،

وانتهى القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ (القرآن.

الناس: ١١٤: ١-٣). مقررأ أيضاً وجود الله ﷻ، وأسمائه وصفاته، وربوبيته، وألوهيته.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: "بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد،

شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خير عن الله ﷻ، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي

الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي

الطلي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهي وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خير عن كرامة

الله ﷻ لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما

خير عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو خير

عمن خرج عن حكم التوحيد" (٨٤).

ولقد أرسل الله الرسل لدعوة الناس لتوحيده، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٢١﴾﴾ (القرآن. البقر: ١٦: ٢١). "أَيُّ بَانَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَوَحْدُوهُ" (٨٥). بل وما

أرسلت الرسل إلا من أجل التوحيد، قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٠﴾﴾ (القرآن. الأنبياء: ٢١: ٢٥). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوةٌ من علاتٍ، وأمهاتهم شتى، ودينهم

واحدٌ» (٨٦). أي أن شرائعهم مختلفة؛ وعقيدتهم واحدة يدعون إلى التوحيد، كالأخوة لأب.

(٨٤) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي. ج. ٣. ص. ٤١٧.

(٨٥) المصدر نفسه. ج. ١٠. ص. ١٠٣.

(٨٦) رواه مُسْنَدُ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب فضائل عيسى عليه السلام. ج. ٤: ١٨٣٧. برقم ٢٣٦٥.

ولقد كانت دعوة التوحيد أول ما دَعَا وأوصى بها الرسول ﷺ رُسُلُهُ إلى الملوك والأقوام؛ فمثال

ذلك: "عن سعيد بن المسيب، قَالَ: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، كتابا واحداً:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، أما بعد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُوًّا أَسْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ (القرآن. آل عمران ٣: ٦٤). (٨٧)

وكذلك ما أوصى به ﷺ معاذ بن جبل ؓ عندما بعثه إلى أهل اليمن فقال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى

قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى» (٨٨).

ومن أهمية الإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ أنه شرط لقبول الأعمال، بل إن الأعمال والأخلاق لا تقبل

من العبد بدون توحيد، وعقيدةخالصة صحيحة؛ فهذا نبي الله ﷺ الذي تفتتت قدماه من العمل والعبادة

والجهاد، امثالاً لقول ربه ﷻ: ﴿وَأَعِدُّرَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْفَيْرُ ﴿٩٦﴾﴾ (القرآن. الحجر ١٥: ٩٩). ووصفه ربه

ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القرآن: القلم ٦٨: ٤). ومع هذا العلم والعمل والعبادة والأخلاق؛ قَالَ له ربه

ﷻ مُخَدِّراً إِيَّاهُ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (القرآن. الزمر ٣٩: ٦٥).

(٨٧) أبو عبيد القاسم بن سلام. د. ت. كتاب الأموال. تحقيق خليل محمد هراس. بيروت: دار الفكر. باب الجزية والسنة في قبولها وهي من
الفيء. ج. ١: ص. ٣١. رقم ٥٩. وإسناده حسن إلى سعيد بن المسيب وهو من مراسلاته التي هي أصح المراسيل عند علماء الحديث، وينظر:

إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي ص. ٥٢.

(٨٨) زوارة البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ج. ٩:

ص. ١١٤. رقم ٧٣٧٢.

فمن لم يحقق التوحيد بكماله وأنواعه وشروطه؛ ونَقَضَهُ بِأَحَدِ نَوَاقِضِهِ الاعتقادية أو القولية أو العملية؛ خرج من ملة الإسلام وحبط عمله وإن نطق بالشهادتين، وصلى وصام وركى وحج؛ وتخلّى بجموع الأخلاق؛ وأتى بأعمال كالجبال يوم القيامة، قَالَ ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (القرآن. الفرقان: ٢٥: ٢٣). أي: "وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم؛ كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف؛ فأحبطناه لفقده ما هو شرط اعتباره" (٨٩).

وشروطُ اعتبار الأعمال ثلاثة: الإيمان بالله وتوحيده، والإخلاص له وحده، والمتابعة لرسوله ﷺ. وقد حكم الله ﷻ على أقوامٍ بالشرك مع إيمانهم به؛ إما لأنهم لم يحققوا أنواع التوحيد بكمالها؛ كأن يؤمنون بوجود الله وربوبيته ويشركون بألوهيته وأسمائه وصفاته، أو أنهم نقضوا توحيدهم باعتقادات أو أقوال أو أفعال تنقض التوحيد، قَالَ ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ الْإِلَهِ الْوَحِيدِ مُشْرِكِينَ﴾ (القرآن. يوسف: ١٢: ١٠٦).

وبالإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ تتوحد الأمة وتأتلف وتتأخى فتنهض، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾ (القرآن. آل عمران: ٢: ١٠٣). أي: واعتصموا بالإيمان والتوحيد فهو حبل الله، والعهد، والميثاق. وقد ورد في معنى (حبل الله ﷻ) ستة أقوال لأهل العلم في التفسير؛ مهمها: القرآن، الجماعة، دين الله، الإخلاص، أمر الله وطاعته، والعهد (٩٠). وكل المعاني واردة وصحيحة!، لأن الاعتصام يكون بكل ما يوصل إلى الله ﷻ وتوحيده.

(٨٩) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ١٤١٨ هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث

العربي. ج. ٤. ص. ١٢٢.

(٩٠) يُنظَرُ: الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٧. ص. ٧٠.

ويُنظَرُ: الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. ١٤٢٢ هـ. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي. ج. ١. ص. ٣١١.

والأقرب في معنى (حبلى الله ﷻ) هو: العهد والميثاق الذي أخذه الله ﷻ على بني آدم وأشهدهم عليه، كما قال رسول الله ﷺ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بْنِ عَمَّانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا، فَفَتَّرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبِيلًا: ﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (القرآن. الأعراف: ٧: ١٧٢)» (٩١).

وبالتوحيد اتحاد، وقوة، وتمكين، وملك، وسيادة، وأمنٌ وأمانٌ، وب (لا إله إلا الله) نسود الشرق والغرب، والعرب والعجم؛ كما قال الرسول ﷺ لقومه عندما دعاهم: «كلمة واحدة لكم فيها خير، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، ... فقال: قولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له» (٩٢).

وما أجمل ما قاله الشاعر المسلم والفيلسوف الهندي والمؤسس لدولة باكستان المسلمة محمد إقبال رحمته الله عن أهمية الإيمان والتوحيد في إعداد الأمة وتوحيدها (٩٣):

وفي التوحيد؛ لِهَمِّ اتِّحَادٍ *** وَلَنْ تَبُكُوا الْعُلَا مُتَّفَرِّقِينَ
تَسَانَدَتِ الْكَوَاكِبُ فَاسْتَقَرَّتْ *** وَلَوْلَا الْجَادِيَّةُ مَا بَقِينَا
إِذَا الْأَيْمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانَ *** وَلَا دُنْيَا لِمَنْ أَمْ يُحْيِي دِينَنَا
وَمَنْ رَضِيَ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ دِينٍ *** فَقَدْ جَعَلَ الْفَنَاءَ لَهَا قَرِينَا

(٩١) رواه أحمد بن حنبل. ١٤٢١ هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ٣: ١١٨. برقم ٢٤٥٥. قَالَ مُحَقِّقُهُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.
(٩٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلي. ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمعاري) بيروت: دار الفكر. ص. ٢٣٦.
(٩٣) الغوري، سيد عبد الماجد. ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م. ديوان محمد إقبال. ترجمة عبد الوهاب عزلم (شعر). بيروت: دار ابن كثير. ص ١٠٣.

المبحث الثاني

التعريفُ بأبرز ما يُعدُّ به الإنسانُ في باب الإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ وكيفيته تحقيقه

إن أول وأبرز وأوجب ما يتعلمه ويُعدُّ به المسلم هو إعدادة بالتوحيد؛ فالتوحيد ضابط الإيمان، وصمام الأمان، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (القرآن. الأنبياء: ٢١: ١٠٨). وقال ﷻ لمعاذ رضي الله عنه عندما أرسله ليدعو أهل اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُرْجِلُوا اللَّهَ تَعَالَى» (٩٤).

ورحم الله صدى الإمام القحطاني رحمه الله حيث قال في منظومته التويبية (٩٥):

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ *** مُتَنَزَّهٌ عَنِ ثَالِثٍ أَوْ ثَانٍ

الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِعَيْرِ بَدَلِيَةٍ *** وَالْآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانٍ

ويتحقق إعداد الإنسان بتوحيد الملك الديان؛ بالإيمان بتوحيده ﷻ بما تفرد به؛ فالتوحيد هو "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به" (٩٦)، فالله الواحد الأحد يختص بأمر أربعة؛ والتي هي مراتب التوحيد وأنواعه، وخطواته الرئيسة:

أولها: اختصاصه ﷻ بأنه وحده وإحدٌ أجدٌ بوجوده بنفسه ﷻ، ولذاته، ويستحيل عليه العدم، وما سواه فموجدٌ بعد عدم ومعدم بعد وجود.

وثانيها: اختصاصه ﷻ بأنه واحدٌ أجدٌ في أسمائه وصفاته.

وثالثها: اختصاصه ﷻ بأنه واحدٌ أجدٌ في ربوبيته.

ورابعها: اختصاصه ﷻ بأنه واحدٌ أجدٌ في ألوهيته قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (القرآن. الإخلاص: ١: ١١٢).

(٩٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ﷻ. ج. ٩. ص. ١١٤. برقم ٧٢٧٢.

(٩٥) القحطاني. د.ت. التضيئة التويبية. ص. ٢٢.

(٩٦) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. شرح ثلاثة الأصول. دار الثريا للنشر. ج. ١. ص. ٣٩.

فمن أَعَدَّ واستعدَّ بهذه الخطوات الأربع؛ فقد حقق الإيمان بالله الواحد الديان. وفيما يلي التفصيل في كَيْفِيَّة الإِعداد بالتوحيد بأربع خطوات:

الخطوة الأولى: الإِعدادُ بالإِيمانِ بِوُجُودِ الرَّبِّ (الله) ﷻ:

أي إعداد الإنسان بالإيمان برَبِّ واحدٍ أحدٌ بوجوده بنفسه ولذاته ويستحيل عليه العدم وما سواه فمُوجَدٌ بعد عدم، ومعدوم بعد وجود؛ وهي المرتبة الأولى من مراتب الإِعداد بالتوحيد.

إن الإيمان بوجود الرَّبِّ (الله) ﷻ مسألة فطرية، ومسلمة عقلية؛ نظراً لآلائه الحسيَّة، ولهذا نرى أن الغالبية العظمى من البشرية من المسلمين وأهل الكتاب؛ بل حتى المشركين الوثنيين قديماً وحديثاً يؤمنون بوجود الخالق، فما هم يُقرُّون ويشهدون على أنفسهم التي أُعِدَّت إعداداً ربانياً بالفطرة بالإيمان بوجود الرَّبِّ (الله) ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (القرآن. الزخرف ٤٣: ٨٧). ف "هذه الآية وأمثالها في القرآن تدل على أن العوم مضطرون إلى الاعتراف بوجود الإله" (٩٧) ومثلها قوله ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (القرآن. العنكبوت ٢٩: ٦١).

بل حتى فرعون المثور الذي أنكر وجود الرب استكباراً بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن. الشعراء ٢٦: ٢٣). وادَّعى الألوهية لنفسه؛ وكذَّبَ نبي الله موسى ﷺ في إثبات وجود الله ﷻ بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْلِكُنَّ عَلَى الطُّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى رَبِّ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القرآن. القصص ٢٨: ٣٨).

(٩٧) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الخنيلي. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. الباب في علوم الكتاب. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. ١٧. ص. ٣٠٢.

ولقد كَذَّبَ اللهُ ﷻ فرعون المثور بادِّعائه إنكار وجوده ﷻ، فقال ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ (القرآن. النمل ٢٧: ١٤). لِعَلِمِهِ ﷻ ما في نفس فرعون.

ولقد كَذَّبَهُ نبي الله موسى كذلك بقوله له: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُشْبُورًا ﴿١٣﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ١٠٢). أي: لقد علمت يا فرعون في قرارة نفسك؛

أن الله ﷻ موجود، وهو الذي أنزل هذه الآيات، لكنك وقومك مُتَكَبِّرُونَ عن قبول الحق والاعتراف به.

لذا قَالَ اللهُ ﷻ عنهم؛ وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿مُرَّا سَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ

هَارُونَ بِيَاكُنَا سُلْطَانِ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١٦﴾ فَقَالُوا اتُّؤْمِنُ بِمِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا

لَتَأَعِيدُونَّ ﴿١٧﴾ (القرآن. المؤمنون ٢٣: ٤٥ - ٤٧).

ولم يشذ من الخلق إلا شذمة من أنكر على الحقيقة وجود الرب (الله) ﷻ؛ كالدهريين قديماً

والملاحدين والطبعيين؛ ومن تش لفهمهم والتجذع بشبهاتهم من أفراد الأمة حديثاً. فوجب إعدادهم ليؤمنوا

بوجود الله ﷻ ولنحصن أبناء الأمة من شبهات الملاحدين.

وينبغي أن يُعلم أن إعداد الإنسان بالإيمان بوجود الرب (الله) ﷻ يتحقق وفقاً للمنهج القرآني

باستخدام أدلة فطرية وعقلية وحسية أولاً؛ وذلك لأن غير المؤمنين؛ لا يؤمنون بوجود الله ﷻ؛ فضلا عن

أن يؤمنوا بأدلته الشرعية النقلية من كتابه وسنة نبيه ﷺ، قَالَ الإمام ابن عرفة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تفسيره: "الصحيح

أن التوحيد واجب بالعقل لا بالسمع" (٩٨).

(٩٨) محمد بن محمد ابن عرفة المالكي. ١٩٨٦ م. تفسير ابن عرفة. تحقيق حسن المناعي. تونس: مركز البحوث الزيتونية. ج. ١. ص. ٢٦٨.

لذا فإن أسلم طريقة لإعداد الإنسان بالإيمان بوجود الرب (الله) ﷻ تكون بالعقل والحس؛ كأدلة

الفطرة، والأدلة العقلية، والأدلة الحسية؛ وها هو الاستدلال بها على التفصيل:

الدليل الأول: الإِعْدَادُ بِدَلِيلِ (الْفِطْرَةِ وَالْعَهْدِ) لِلْإِيْمَانِ بِوُجُودِ الرَّبِّ (الله) ﷻ:

لقد أعدَّ اللهُ ﷻ للإنسان، وفطره على الإيمان بوجوده وتوحيده؛ قَالَ ﷻ مُعَدَّاً نَبِيَهُ ﷺ: ﴿فَإِذَا

وَجَّهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن، الروم ٣٠: ٣٠). "فإنه ﷻ فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره" (٩٩).

ولقد أخذ اللهُ ﷻ العهد من بني آدم على هذه الفطرة؛ مُنْذُ أَنْ كَانُوا فِي ظَهْرِ أَبِيهِمْ آدَمَ النَّبِيِّ ﷺ،

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانِ، يَعْنِي عَرْفَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْ

صَلْبِهِ كُلَّ ذَرِيَّةٍ ذُرَّاءُهَا، فَشَرَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلاً: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (القرآن، الأعراف ٧: ١٧٣). «(١٠٠)».

إذن فالإنسان بمقتضى هذا العهد؛ لو شَرَّكَ عَلَى فِطْرَتِهِ بِدُونِ مَوْثِرَاتٍ خَارِجِيَّةٍ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ؛ لَكَانَ مُؤْمِناً بِوُجُودِ اللَّهِ ﷻ وَمُسْلِماً مُوَحِّداً، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى

الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ، أَوْ مَجْسَانِهِ، ثُمَّ فَرَأَى أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا﴾ (القرآن، الروم ٣٠: ٣٠). «(١٠١)».

(٩٩) ابن كثير. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم. ج. ٦. ص. ٣١٣.

(١٠٠) زوَّاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. ١٤٢١هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ٣. ص. ١١٨. برقم ٢٤٥٥. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(١٠١) زوَّاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي

الإسلام. ج. ٢: ٩٤. برقم ١٣٥٨.

لكن قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل؛ فَلَقَدْ اِقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ﷻ أَنْ يَمْتَحِنَ بَنِي آدَمَ بِفِطْرَتِهِمْ وَمَدَى ثَبَاتِهِمْ عَلَى عَهْدِهِمْ؛ فَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينَ؛ فَأَفْسَدَتْ فِطْرَهُمْ وَأَنْسَتْهُمْ عَهْدَهُمْ، وَذَلِكَ لِتَطَّلَ سُنَّةُ السُّقُوطِ ثُمَّ الإِعْدَادُ لِلنَّهْوضِ سَارِيَةً، وَلِيُمَيِّزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، قَالَ رَجَّكَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَنْفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِغْمَ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» (١٠٢). و "الْحَنْفُ: هُوَ مِيلٌ عَنِ الضَّلَالِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ... وَتَحَنَّفَ فُلَانٌ، أَي: تَحَرَّى طَرِيقَ الْإِسْتِقَامَةِ" (١٠٣).

وَإِنْ أَكْثَرَ مَا يُجَلِّي الْفِطْرَةَ وَيُعِدُّ الْإِنْسَانَ لِلْإِيمَانِ بِوَجُودِ اللهِ ﷻ؛ الْحَنُّ وَالْمَصَائِبُ، فَتَرَى الْكُفْرَانَ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ وَأَرَائِهِمْ؛ عِنْدَمَا يَمْسَهُمُ الضَّرُّ، وَتَنْقَطِعُ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، يَلْجِئُونَ إِلَى مَنْ كَفَرُوا بِهِ وَجَحْدُوهُ عِنُودًا وَاضْطِرَارًا، وَاسْتِجَابَةً لِلنِّدَاءِ الْفِطْرِيِّ الْمَعْرُوسِ فِي الْقُلُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْبُ فِي الْبَحْرِ صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِيمَانُ كُفُورًا﴾ (القرآن: الإسراء: ١٧: ٦٧).

الدَّلِيلُ الثَّانِي: الإِعْدَادُ بِدَلِيلِ (العقل والتفكير) لِلْإِيمَانِ بِوَجُودِ الرَّبِّ (الله) ﷻ:

يُعِدُّ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِوَجُودِهِ بِدَلَالَةِ خَلْقِهِ وَصَنْعِهِ؛ وَيَخَاطِبُ عَقُولَهُمْ وَيَدْعُوهُمْ لِلتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِهِ فَقَالَ ﷻ: ﴿إِنْ فِي حَقِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِذَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن: آل عمران ٣: ١٩٠). أَي أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا دَالَّةٌ عَلَى وَجُودِ خَالِقِ لِهَمَا.

(١٠٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

ج. ٤: ٢١٩٧. برقم ٢٨٦٥.

(١٠٣) الراغب الأصفهاني. ١٤١٢ هـ. المفردات في غريب القرآن. ص. ٢٦٠.

لأنه من المسلمات العقلية عند العقلاء أولى الأبواب والمنصفين الأسوياء؛ أن كل مخلوق لابد له من خالق، كما أن كل مصنوع لابد له من صانع. وهو ما يطلق عليه الحكماء (قانون السببية): وهذا القانون يقول: "إن شيئاً من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء؛ لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، ولا يستقل بإحداث شيء؛ لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو" (١٠٤). أي: أن كل موجود بعد عدمه ومعدوم بعد وجوده من المخلوقات لابد من سبب لوجوده وعدمه؛ ومهما طالت سلسلة الأسباب الموجدة فلا بد لها في النهاية من سبب موجود بنفسه ولذاته؛ ولا سبب لوجوده ويستحيل عليه العدم؛ بحيث يكون الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الله ﷻ؛ تبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد حاجج القرآن الكريم منكري وجود الله ﷻ بقانون السببية العقلي؛ لإعدادهم بالإيمان به فقال أعز من قائل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) (القرآن. الطور ٥٢: ٣٥ - ٣٦). أي: أوجدوا من غير مُوجدٍ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله ﷻ هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً (١٠٥). لأنه من المستحيل عقلاً أن العدم يُوجد شيئاً، فهم لم يُخلَقوا من عدم، وهم قبل أن يُخلَقوا كانوا عدماً؛ فكيف خَلَقوا أنفسهم؛ فهذا مُحال.

ولو فرضنا جدلاً؛ أنه استكر من استكر منهم وزعم أنه يخلق الأنفس ويميتها؛ فقد قطع الله ﷻ عليه سبيل الجدال باستحالة خَلْقِهِم للسماوات والأرض؛ وهم أقل شأناً منهما قال ﷻ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) (القرآن. غافر ٤٠: ٥٧). فالعقل يُجِبُّ أن يخلق الشيء شيئاً أعظم منه.

(١٠٤) الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. ١٤١٦ هـ. العميدة في الله. الطبعة: الثانية عشر. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع. ص. ٧٣.

(١٠٥) ابن كثير. ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. تفسير القرآن العظيم. ج. ٧. ص. ٤٣٧.

وبهذا الدليل العقلي أعَدَّ اللهُ ﷻ رسوله إبراهيم الخليل ليُحاجَّ به الذي حاجَّه في وجود الله ﷻ
 قَالَ ﷻ: ﴿الْفَرْتَرَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَأَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
 قَالَ أَنَا أَحْيِيهِ وَإُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (القرآن. البقرة: ٢: ٢٥٨). فأهتته الله بالدليل العقلي، وتبين أنه سبحانه خالق
 كل شيء؛ والحمد لله رب العالمين.

الدليل الثالث: الإغناء بدليل (الحسُّ والعناية) للإيمان بوجود الرب (الله) ﷻ:

﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿١٦﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١٦)؛ فما زال الله ﷻ يُعِدُّ عباده للإيمان بوجوده
 وتوحيده ويعتني بهم، رغم كفرهم وفسادهم أو تناسيهم عهدهم الذي عاهدوه به؛ فمرة بالمحسوسات
 والمشاهدات من الآيات، ومرة بالعجايب وإجابة الدعوات.

فمن أمثلة آياته المحسوسة والمشاهدة؛ الرسل والأنبياء ﷺ ومعجزاتهم؛ الذين أرسلهم الله ﷻ
 ليدلوا عباده على وجوده، ويأمرهم بتوحيده، قال ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ﴾ ﴿٢١٣﴾ (القرآن. البقرة: ٢: ٢١٣). أي كان الناس على دين واحد (١٠٦)؛ دين الفطرة الحق، فجاءهم
 الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وأفسدت فطرتهم، وأنستهم عهدهم؛ فبعث الله ﷻ لهم؛ ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ لِيَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾ (القرآن. النساء: ٤: ١٦٥).

وأجرى الله ﷻ على أيدي الرسل والأنبياء معجزات خارقة للعادة؛ لتبرهن على صدقهم؛ وإعداداً
 للناس وعناية بهم، قَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿٢٥٧﴾ (القرآن. الحديد: ٥٧: ٢٥٧). أي بالمعجزات

(١٠٦) يُنظَر: الطبري، محمد بن جرير. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٤. ص. ٢٧٦.

الظواهرات المحسوسات؛ للدلالة على وجوده جَلَّالَهُ. قَالَ عَلَيْهِ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن، أو آمن، عليه البشر» (١٠٧).

ومن أمثلة الآيات المحسوسة المشاهدة الدالة على وجود الله عَلَيْهِ وتوحيده؛ ما أبدعه الله جَلَّالَهُ من آيات في الأفاق وفي أنفس الناس، قَالَ عَلَيْهِ: ﴿سَرُّهُمْ أَيَّتَنَافِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرُؤْيُكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عَلَيْهِ﴾ (القرآن. فصلت ٤١: ٥٢).

فالناظر إلى الكون وتقديره وانتظامه، وإلى خلق الإنسان وتسويته وإتقانه، استدل على وجود الخالق عَلَيْهِ وإنعامه، وسيلدرك أنه: ﴿صَمِعَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَقْنَنَ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ (القرآن. النمل ٢٧: ٨٨).

فالخالق المصور عَلَيْهِ لم يخلق الخلق عبثاً ويتركهم سدى، بل شملهم برحمته وعنايته، فالرحمن الرحيم هو من يجيبهم في حاجاتهم وملماهم قَالَ عَلَيْهِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْكُمَّ حُمْلَةً الْأَرْضِ فَإِنَّ إِلَهَهُ مَعَ اللَّهِ فَلْيَا مَا تَذَكَّرُونَ عَلَيْهِ﴾ (القرآن. النمل ٢٧: ٦٢).

ولقد كانت وما زالت إغاثة المستغيثين، وإجابة الداعين، وإعانة المستعنين، كواقع محسوس من أكبر الأدلة على وجود الرب (الله) عَلَيْهِ؛ المغيث المجيب المستعان. قَالَ عَلَيْهِ: ﴿وَمَا يَكُرُّنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ تَتَّبِعُونَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ عَلَيْهِ﴾ (القرآن. النحل ١٦: ٥٣). وَقَالَ عَلَيْهِ مُتَتَّبِعًا عَلَى النَّاسِ، ومتفضلاً عليهم بنعمه المحسوسة، وعنايته الملموسة: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبَتْنا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ عَلَيْهِ﴾ (القرآن. يونس ١٠: ٢٢).

(١٠٧) رواه البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم. ج. ٩: ٩٢. برقم ٧٢٧٤.

الْحُطُوبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِعْدَادُ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، وَالْإِيمَانِ بِهَا:

بعد أن يُعَدَّ الإنسانُ بالإيمان بوجود الله ﷻ، ويؤمن به خالقاً للخلق؛ لا بد من إعداده بمعرفة أسماء وصفات هذا الخالق العظيم والإيمان بها، وتوحيده بها، والعمل بها.

ويتحقق الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى؛ بِإِفْرَادِ اللَّهِ ﷻ بِمَا يُخْتَصُّ بِهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَلالِ وَصِفَاتِ الْكَمالِ، أَيْ أَنْ نَسْمِي وَنُصِفَ اللَّهَ ﷻ بِمَا سَمِيَ وَوُصِفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ ﷻ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ﷻ، قَالَ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١١). وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (القرآن. الإخلاص ٤٢: ١-٤).

ويتحقق الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ؛ بِعَدَمِ الْإِلْحَادِ^(١٠٨) فِيهَا؛ كالتحريف لها والتعطيل، والتشبيه أو التجسيم أو التكيف بما والتمثيل، والتكلف فيها بِفَاسِدِ التَّأْوِيلِ، وَالتَّفْوِضِ لِمَعَانِيهَا بِالتَّجْهِيلِ. قَالَ ﷻ: ﴿وَدَرَوْا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ سَبْحُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ١٨٠).

ويتحقق كذلك؛ الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ؛ بِتَرْكِ التَّعَمُّقِ وَالْجَدَلِ وَالْفَلَسَفَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ وَأَسْمَاءِ وَصِفَاتِهِ، وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَدُّ أَصْحَابَهُ ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ اللَّهِ فَقَالَ: «فِيمَ تُفَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَتَفَكَّرُ فِي خَلْقِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ ﷻ: «لَا تُفَكَّرُوا فِي اللَّهِ، وَلَكِنْ تُفَكَّرُوا فِيَمَا خَلَقَ اللَّهُ»^(١٠٩). لَأَنَّ عَقُولَنَا الْقَاصِرَةَ

(١٠٨) وأصل "الإلحاد" في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض. ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم. يُنظَرُ: الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ١٣. ص. ٢٨٣.

(١٠٩) رواه ابن أبي حاتم، أبو مع مد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. ١٤١٩ هـ. تفسير القرآن العظيم. تحقيق أسعد محمد الطيب. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج. ٣. ص. ٨٤٢. برقم: ٤٦٥٩. وحسنه الذهبي موقوفاً من كلام ابن عباس في: العرش ج. ٢. ص. ١٣٤. وحسنه الألباني مرفوعاً بمجموع طرقه في: السلسلة الصحيحة. ج. ٤٠. ص. ٣٩٥.

تعجز عن التفكير والبحث في الذات الإلهية؛ وذلك لعدم توفر أدوات البحث ومجال البحث، ولهذا أغلب من سلك هذا الطريق ضلَّ وأضلَّ؛ فيجب الإيمان والتسليم؛ للسلامة من الضلال والزلل؛ وكذلك كان إعداد الرسول ﷺ لأمته فقال ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا خلقُ الله الخالق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله»^(١١٠).

وعلى هذا الاعتقاد الصافي السهل، والتنزيه للذات الإلهية؛ سار سلفنا الصالح ﷺ، ورحم الله

صَدَى الإمام القحطاني رحمه الله حيث قال في منظومته التُوْبِيَّة^(١١١):

لَا تُفَكِّرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ *** فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ^(١١٢)
 وَاللَّهُ رَبِّي مَا تُكَيِّفُ دَأْتُهُ *** بِخَوَاطِرِ الْأَوْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
 أَمُرُّ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا آتَتْ *** مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا هَدْيَانِ
 حَاشَا الْإِلَهَ أَنْ يُكَيِّفَ دَأْتُهُ *** فَالْكَيْفُ وَالتَّمَثِيلُ مُنْتَفِيَانِ
 وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ *** شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

ولقد أعدَّ الله ﷻ عباده بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ ودعاهم للتعبد والدعاء بما في كتابه فقال

أعز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١١٣) (القرآن، الأعراف: ٧-١٨٠). وها هو رسول الله ﷺ يُعِدُّ أُمَّتَهُ بِمَا

كذلك؛ وَيُعِدُّ بِالْجَنَّةِ مَنْ حَفِظَهَا وَفَهَمَهَا وَعَمِلَ بِهَا بِشَمَلِيَّتِهَا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ:

(١١٠) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. ج. ١: ١١٩. رقم: ١٣٤.

(١١١) القحطاني. د.ت. القصيدة التوبية. ص ٥٢.

(١١٢) الملوان: الليل والنهار. يُنظَرُ: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. إصلاح المنطق. تحقيق محمد

مرعب. مصر: دار إحياء التراث العربي. ص: ٢٧٧.

«إن لله تسعة وتسعين اسماً؛ مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».^(١١٣) فيجب عليك أيها العبد أن تؤمن بمعاني هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى لخالقك؛ وأن تُمرها كمت جاءت، وتُقَوِّضَ كَيْفِيَّتَهَا لربك مع إثبات معانيها والإيمان بها، والعمل بمقتضاها وتستشعرها في حياتك وأحوالك حتى «تعبد الله كأنك تراه».^(١١٤)

إن إعداد العبد بالإيمان بأسماء الله ﷻ وصفاته بشكل عام يُورث العبد سعادة الدارين وفلاح العيشين. قَالَ سلطان العلماء العز بن عبد السلام ﷺ: "اعلم أن معرفة الذات والصفات ثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالاً علياً، وأقوالاً سنية، وأفعالاً رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية"^(١١٥). فمن تعرف على الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فقد تعرف على الكمال المطلق، وعبد الله ﷻ بأكمل أحوال العباد؛ بمحبة الله ﷻ، ورجائه، وخشيته؛ والتي هي بالنسبة للعبد كراس الطائر وحناحيه، قَالَ ﷻ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿٥٦﴾﴾ (القرآن. الأعراف: ٧: ٥٦). أي: "أمر الله ﷻ بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله ﷻ، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يميلانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان"^(١١٦).

وهكذا كان إعداد الأنبياء والصالحين أجمعين ﷺ؛ لما علموه من كمال صفات الله ﷻ وجميل أسمائه؛ قَالَ الله ﷻ مادحاً لهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٢١﴾﴾ (القرآن. الأنبياء: ٢١: ٩٠). أي: يدعوننا رجاءً لنا وخوفاً منا لقوله ﷻ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿٢١﴾﴾ (القرآن. الإسراء: ١٧: ٥٧). قَالَ الإمام الحسن البصري ﷻ: "الرجاء والخوف مَطِيئَتَا الْمُؤْمِنِ"^(١١٧).

(١١٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الاشتراط. باب ما يجوز من الاشتراط والثبنا في الإقرار. ج. ١: ١٩٨. رقم ٢٧٣٦.

(١١٤) المصدر نفسه. كتاب الإيمان. باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. ج. ١: ١٩. رقم ٥٠.

(١١٥) سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. ٢٠٠٦ م. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. تحقيق إياها خالد الطباع. دمشق: دار الفكر. ج. ١٤. ص. ١٥.

(١١٦) القرطبي. ١٣٨٤هـ. الجامع لأحكام القرآن. ج. ٧. ص. ٢٢٧.

(١١٧) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد. ١٣٩٤هـ. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مصر: دار السعادة. ج. ٢. ص. ١٥٦.

فلا بد من الجمع بين (الحبة، والرجاء، والخوف) في قلب المؤمن وعدم إهمال أحدهما وتغليب على الآخر؛ ليسلم القلب من آفات (الغلو، والغرور، واليأس)؛ ولا يتم ذلك للعبد إلا بالإعداد الشامل الكامل بأسماء الله وصفاته ليحقق العبد التوازن ويسلم من الانحراف.

وقد وزن الله ﷻ بإعداد عباده بين المحبة والرجاء والخوف بقوله ﷻ: ﴿تَتَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿١١٩﴾ (القرآن. الحجر ١٥: ٤٩ - ٥٠). أي أخبرهم يا محمد ﷺ عن رحمتي ﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿١٢٠﴾ (القرآن. طه ٢٠: ٨٢). وأخبرهم أن من عصاني وأصر وتكبر فله الخوف عندي وأخبرهم: ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِن عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢١﴾ (القرآن. إبراهيم ١٤: ٧).

وفيما يلي التفصيل لما يورثه الإعداد بالإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى للتدليل لا للحصر:

١. الإعداد بأسماء الله وصفاته يورث محبة الله ﷻ والرغبة في توحده وطاعته.

إن الإعداد بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا والإيمان بها؛ تورث محبة الله ﷻ، ومن أحب الله؛ أحبته الله ﷻ، ومن أحبته الله ﷻ؛ قربته وأذناه وأسعده وأرضاه؛ لأن أسماءه وصفاته ﷻ تدل على الكمال الذي تحبه النفوس وتقره العقول، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وإذا كان الكمال محبوباً لذاته ونفسه؛ وجب أن يكون الله ﷻ هو المحبوب لذاته وصفاته؛ إذا لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها" (١١٨). ولأن قلب العبد إذا امتلأ بحب الله ﷻ وفرغ من محبة ما سواه؛ وصار العبد موحداً طائعاً لله ﷻ، بعيداً عن شرك الله ومحبته. قال ﷻ: ﴿مَا حَمَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ (١) (القرآن. الأحزاب ٤٣: ٤). ولهذا كان الرسول ﷺ يسأل الله حبه فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ» (١١٩).

(١١٨) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. ١٤١٤هـ. طريق المجرتين وباب السعادتين. تحقيق عمر بن محمود. الدمام: دار ابن القيم. ص. ٥٢٠.

(١١٩) زوارة الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ج. ٥: ص. ٣٦٨. برقم ٣٢٣٥. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وَأَنَّ أَسْمَاءَ وَصِفَاتِ اللَّهِ ﷻ الَّتِي تُرْغَبُ وَتُعَدُّ الْعِبَادُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أ- أَسْمَاؤُهُ ﷻ: (اللَّهُ، الرَّبُّ، الْمَلِكُ، الْمَلِكُ، الْمَلِكُ، الْمَجِيدُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ): وهي أسماء تعني أنه ﷻ

محبوب مألوه؛ فهو الذي تأله القلوب، قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (القرآن. الحشر

٥٩: ٢٢). ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن. الفاتحة: ١: ٢). فيحبونه لأنه مُربيههم ومُدبِرُ مصالحهم وأمورهم،

وملكهم. قَالَ اللهُ مُعَدًّا نَبِيَهُ وَعِبَادَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ

تَشَاءُ﴾ (القرآن. آل عمران ٣: ٢٦). فالملك العادل محبوب لهيبته وعدله، والله ﷻ ملك الملوك المتفرد

بكل شيء؛ فهو متفرد بالحبة المطلقة التي لا تشابهها حبة مخلوق سِوَاهُ، قَالَ ﷻ ذَاتًا أَوْلِيَاءِ

الطواغيت والأنداد ومُحِبِّهِمْ؛ ومادحاً أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَمُرِيدِيهِمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَنْدَادًا يُجِوْنُهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (القرآن. البقرة: ٢: ١٦٥).

ب- أَسْمَاؤُهُ ﷻ: (الخالق، البارئ، المصور، الجميل، الودود، البديع، السلام، الرشيد، الحكيم،

الحكم، القدوس، المؤمن): وهي أسماء تعني أن الله ﷻ الذي خلق الخلق وصورهم على أجمل

صورة بديعة؛ يتوجب على مخلوقاته حُبُّهُ وودُّهُ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، قَالَ

ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (القرآن. الحشر ٥٩: ٢٤). وَقَالَ ﷻ:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (القرآن. الحشر ٥٩: ٢٣). وَقَالَ ﷻ:

«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ» (١٢٠).

(١٢٠) مسلم بن الحجاج النيسابوري. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب تحريم الكبر وبيان. ج. ١: ص. ٩٣. برقم ٩١.

٢. الإِعْدَادُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ يُورِثُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﷻ وَالطَّمَعِ بِرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ.

إن الإِعْدَادَ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعَالِيَا وَالْإِيمَانَ بِهَا؛ تَوْرَثُ الْإِنْسَانَ رِجَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ؛ وَمَنْ رَجَا اللَّهَ أَعْطَاهُ اللَّهُ رِجَاءَهُ وَكَفَاهُ وَأَغْنَاهُ، قَالَ ﷻ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ بِرَحْمَتِهِ: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (القرآن. البقرة: ٢: ٢١٨). "أي: يطمعون أن يرحمهم الله فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم" (١٢١)، لا بأعمالهم وعباداتهم؛ وإنما بما علموه من سعة صفة رحمته وواسع صفة مغفرته.

ولقد أَعَدَّ اللَّهُ عِبَادَهُ بِتَحْدِيدِهِمْ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ؛ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ. فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (القرآن. يوسف: ١٢: ٨٧). فلا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ يُعِدِّ نَفْسَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ ﷻ. وَقَالَ ﷻ: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن. الصافات: ٣٧: ٨٧). وَقَالَ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (١٢٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعِدُّ صَحَابَتَهُ ﷺ وَيُوصِيهِمْ بِقَوْلِهِ: «لَا يَمُوتُنْ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١٢٣). فَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ إِعْدَادِهِ ﷻ لِصَحَابَتِهِ؛ أَنْ قَالَ الصَّحَابِيُّ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﷻ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ ﷻ وَجَبَّكَ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ﷻ ظَنَّهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ" (١٢٤). وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا امْتَلَأَ قَلْبَهُ رِجَاءً مِنَ اللَّهِ ﷻ وَأَمَلًا بِهِ وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَهُ؛ خَلَا قَلْبَهُ مِنَ التَّلَقُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ وَعَزَّتْ نَفْسُهُ وَعَمَلَا شَأْنَهُ.

(١٢١) الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٤. ص. ٣١٩.

(١٢٢) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾. ج. ٩: ١٤٥. برقم: ٧٥٠٥.

(١٢٣) زوَاهُ مُسْلِمٍ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب الأمر بحسن الظن بالله. ج. ٤: ٢٢٠٦. برقم ٢٨٧٧.

(١٢٤) زوَاهُ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. ١٤٠٨ هـ. حسن الظن بالله. تحقيق مخلص محمد. الرياض: دار طيبة. ص. ٩٦.

وَإِنَّ أَسْمَاءَ وَصِفَاتِ اللَّهِ جَلَّالَهُ الَّتِي تُرْغَبُ وَتُعَدُّ الْعَبْدُ بِرَجَاءِ اللَّهِ جَلَّالَهُ وَالْأَمَلُ مِنْهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أ- أَسْمَاءُ جَلَّالَهُ: (الغنى، الحميد، الكريم، الأكرم، المعطي، الجواد، الرازق، الرزاق، الفتاح، الشاكر،

الشكور، الكافي، الوكيل، القيوم، الصمد، المتان، الوهاب، الواسع): فكلها أسماء دالة على سعة

عطائه جَلَّالَهُ، وتُعدُّ العبد برجائه، فهو الكريم الذي لا يُعادل كرمه كريم؛ قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ

أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (القرآن. فاطر ٣٥: ١٥). وَقَالَ جَلَّالَهُ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا

عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ (القرآن. الانفطار ٨٢: ٦). ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ٢٣).

ب- أَسْمَاءُ جَلَّالَهُ: (المحسر، البر، الرحيم، الحليم، الغفور، الغفار، العفو، التواب، المجيب،

الستير، القريب، الصبور): كلها أسماء تُعدُّ العباد وتُرَجِّبهم وتؤملهم بسعة عفو الله جَلَّالَهُ

ومغفرته؛ وعدم القنوط من رحمته، قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٨٨﴾﴾ (القرآن. الطور ٥٢: ٢٨).

وَقَالَ جَلَّالَهُ: ﴿تُرْتَابُ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾﴾ (القرآن. التوبة ٩: ١١٨).

٣. الإِعْدَادُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ جَلَّالَهُ وَالْخَوْفَ مِنْ شِرْكَهِ وَمَعْصِيَتِهِ.

إن الإعداد بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا والإيمان بها؛ تورث الإنسان مخافة الله جَلَّالَهُ

وخشيته، ومن خشي وخاف الله جَلَّالَهُ أَمَّنَهُ اللهُ وَعَافَاهُ، وَأَعَاذَهُ وَأَنْجَاهُ، قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ ﴿١٨﴾﴾ (القرآن. فاطر ٣٥: ٢٨). قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛

لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى؛ كلما

كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر" (١٢٥).

(١٢٥) ابن كثير. ٥١٤٢٠ - ١٩٩٩ م. تفسير القرآن العظيم. ج. ٣. ص. ٥٦١.

ولقد أَعَدَّ اللهُ ﷻ عبادَه بِخَشِيَّتِهِ وَتَقْوَتِهِ؛ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا...﴾ (٤٤) ﴿القرآن.

المائدة: ٥٤). ولقد امثل لخشيته ﷺ الأنبياء على تقوهم، فقال الله ﷻ عنهم: ﴿الَّذِينَ يَبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ

وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (القرآن. الأحزاب: ٢٣: ٢٦). بل ولقد أَعَدَّ اللهُ ﷻ بخشيته

وتقواه سيد المتقين محمد ﷺ فقال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾ (القرآن. الأحزاب: ٣٣: ١). فامتثل ﷺ أمر

ربه؛ فكان يقول ﷺ عن نفسه: «فوالله لأنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» (١٢٦).

وكان الرسول ﷺ يُعِدُّ أَهْلَ بَيْتِهِ وَصَحَابَتَهُ بِخَشْيَةِ اللَّهِ؛ فَهَذِهِ أُمَّنَا عَائِشَةُ (رضي الله عنها) لما سألت النبي ﷺ

عن قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْفِيقًا يَهْرَجُهُمْ إِلَى بَيْهَرٍ رَجِيعٍ﴾ (القرآن. المؤمنون: ٢٣: ٦٠). فقالت: أَهُمْ

الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخمرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قال ﷺ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ،

وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الخُرُوفِ وَهُمْ لَهَا سَلِيمُونَ﴾ (القرآن. المؤمنون: ٢٣: ٦١)» (١٢٧).

إن مخافة الله ﷻ وخصيسته تورث طاعته، والالتزام بأوامره، والانتهاز عن نواهيهِ. قَالَ الإمامُ أَحْمَدُ

بْنُ عَاصِمِ الأَنْطَاكِيِّ (رضي الله عنه): "مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ لَهُ أَخُوفٌ" (١٢٨). وعن الإمامِ خَالِدِ الرِّبَعِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ:

"أَخْبَرْتُ أَنَّ فَاتِحَةَ الزُّبُرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ زُبُورُ دَاوُدَ: رَأْسُ الحِكْمَةِ خَشْيَةُ الرَّبِّ" (١٢٩). ومن امتلأ قلبه خشية

الله وخاف الله وحده لم يخف من مخلوق سواه. قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَوَلَّاتْنَا قُلُوبَهُمْ

وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن. آل عمران: ٣: ١٧٥).

(١٢٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب علمه ﷺ بالله ﷻ وشدة خشيته. ج. ٤: ص. ١٨٢٩. برقم ٢٤٥٦.

(١٢٧) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. ١٣٩٥ هـ. سنن الترمذي. ج. ٥: ٣٢٧. برقم ٣١٧٥. وصححه الألباني في كتاب: الإيمان لابن تيمية. ص. ١٦٢.

(١٢٨) القشيري، عبد الكريم بن هوازن. الرسالة التمشيرية. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف. ج. ٢. ص. ٤٧٩.

(١٢٩) أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم. ٤٠٩ م. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت.

الرياض: مكتبة الرشد. ج. ٧. ص. ٦٨.

وَأَنَّ أَسْمَاءَ وَصِفَاتِ اللَّهِ جَلَّالَهُ الَّتِي تُرْغَبُ وَتُعَدُّ الْعَبْدُ بِخَشْيَةِ اللَّهِ جَلَّالَهُ وَالْحَوْفُ مِنْهُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

أ- أَسْمَاؤُهُ جَلَّالَهُ: (الْعَزِيزُ، الْعَظِيمُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْجَلِيلُ، الْعَلِيُّ، الْقَوِيُّ، الْمُتِينُ،

الْقَاهِرُ، الْقَهَّارُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْقَدِيرُ، الْمُقِيتُ): كلها أسماء تدل على العزة والعظمة

والجلال والقوة والكبرياء؛ فَتُعَدُّ الْعَبْدُ وَمَمْلَأَ قَلْبَهُ تَعْظِيماً وَإِجْلَالاً لِلَّهِ جَلَّالَهُ. وَتُعَدُّ لَنَا عَزِيزاً

بِاللَّهِ، قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (القرآن. فاطر ٣٥: ١٠). وَتُعَدُّ لَنَا عَبْدًا

يَخْشَى اللَّهَ وَلَا يَخْشَى مَخْلُوقاً سِوَاهُ، مُسْتَمِدًّا ثَبَاتَهُ وَقُوَّتَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّالَهُ، ﴿ذُو الْقُوَّةِ

الْمُتِينِ﴾ (القرآن. الذاريات ٥١: ٥٧).

ب- أَسْمَاؤُهُ جَلَّالَهُ: (الْعَلِيمُ، الْحَكِيمُ، الْحَسِيبُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَبِيرُ، الْمُهَيِّمُ، الرَّقِيبُ،

الْحَافِظُ، الْخَفِيظُ): هي أسماء تدل على سعة علم الله جَلَّالَهُ وسمعِهِ وبصرِهِ ورقابته وحفظه،

وتورث عند العبد مراقبة الله جَلَّالَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَالْحَيَاءِ مِنْ اللَّهِ ظَاهِراً وَبَاطِئاً. لِأَنَّهُ جَلَّالَهُ:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (القرآن. غافر ٤٠: ٢٠). فَالْإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِسَمْعِ اللَّهِ

وبصرِهِ يُطْمِئِنُّ الْعَبْدُ بِأَنَّهُ تَحْتَ عِلْمِ اللَّهِ جَلَّالَهُ وَحِمَايَتِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَالَ جَلَّالَهُ:

﴿فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (القرآن. غافر ٤٠: ٥٦). وَلِأَنَّ مِنْ لَا يَسْمَعُ

وَلَا يَبْصُرُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ؛ لِأَنَّهُ قَاصِرٌ عَنْ حِمَايَةِ نَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ حِمَايَةِ غَيْرِهِ، وَبِهَذَا

المفهوم حاجج إبراهيم التليجي: أَبَاهُ وَكَانَ يُعَدُّهُ لِيُؤْمِنَ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (القرآن. مريم ١٦: ٤٢).

الْحُطُوةُ الثَّالِثَةُ: الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ بِأَفْعَالِهِ.

بعد أن يُعَدَّ العبد بالإيمان بأسماء وصفات الرب العظيم ﷻ بالإجمال وعلى العموم؛ وجب إعداده على وجه الخصوص بالإيمان باسم الله (الرَّبِّ) ﷻ وصفة الربوبية المشتقة منه؛ وذلك لأهميتهما في انفراد واختصاص الله ﷻ بهما على الوجه الكامل الشامل، ولتضمنهما لكثير من الأسماء والصفات التي تندرج تحت معناهما، مثل صفات:

(الخلق، والملك، والحكم، والحاكمة، والتدبير، والحياة، والإحياء، والقيومية، والعلم، والحكمة، والخبرة، والسمع، والبصر، والمعية، والإحاطة، والمشيئة، والقدرة، والعزة، والقوة، والغنى، والنفعة، والرزق، والإمداد، والعطاء، والمسطح، والإبقاء، والإصلاح، والهداية، والرعاية، والرحمة، والقبض، والإماتة، والبعث، والنشور).

إن الربَّ الحق يستلزم منه أن يتصف بكل هذه الصفات الآتفة الذكر، وغيرها من الصفات التي يكون بها رباً بحق؛ مالِكاً لخلقهم، حاكماً عليهم، وقائماً بنفسه وقائماً عليهم بتدبيره وأمره، ويسمعهم ويصبرهم، ويهديهم ويرعاهم، ويرزقهم فهو غني عنهم؛ وهم محتاجون إليه مفتقرون لتدبيره ورحمته، وإله مرجعهم وحسابهم. قَالَ ﷻ: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ (القرآن. الدخان: ٤٤؛ ٧-٨). قَالَ الإمام أبو منصور الماتريدي رَضِيَ اللهُ فِي تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ: "رب الشيء هو مصلحه؛ معناه: مصلح السموات والأرض وما فيهما، وحافظ ذلك كله... وَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَي: مالِكهما ومالك ما فيهما... أَي: خالقهما، وخالق ما فيهما، ومنشئ ذلك كله" (١٣٠).

ويتحقق الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِاسْمِ اللَّهِ (الرَّبِّ) وصفة ربوبيته، بإفراد الله ﷻ بأفعاله؛ وبما اختص به من رُكْنِي الرُّبُوبِيَّةِ: الأَوَّلُ إفراد الله بالخلق والملك، والثَّانِي: إفراد الله بالتدبير والأمر. وما يستلزمه كلا الركنان من صفات الكمال الأخرى.

(١٣٠) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة. تحقيق مجدي باسلوم. بيروت:

دار الكتب العلمية. ج. ٩. ص. ١٩٧.

وقد ورد ركنا الربوبية بإجابة موسى عليه السلام لفرعون المثبور؛ عندما أنكر فرعون وجود الرب تعالى فقال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ فأجابه نبي الله موسى عليه السلام إجابة شافية من جوامع الكلم؛ مُعدداً له لعله يتذكر أو يحشى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (القرآن. طه: ٢٠ - ٤٩ - ٥٠). "أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه تعالى هَدَى﴾ كل مخلوق إلى ما خلقه له" (١٣١). فالرب على الحقيقة؛ هو الذي يخلق فيملك، ويدبر أمر خلقه فيربهم ويحكمهم بحكمه. إِذَنْ فَرُبُّوبِيَّةُ اللَّهِ تعالى تَقُومُ عَلَى رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَيْنِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: إِفْرَادُ اللَّهِ تعالى بِالْحَلْقِ وَالْمُلْكِ:

إن إعداد العباد بإفراد الله تعالى بالخلق؛ يتحقق بالإيمان بأن لا خالق لشيء من العدم إلا الله تعالى، قَالَ تعالى مُعِدداً عباده بأنه وحده الخالق: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القرآن. الزمر: ٣٩: ٦٢). ثم ذكرهم تعالى بنعمه عليهم؛ وأنه تعالى هو وحده من خلقهم وخلق النعم التي أنعمها عليهم؛ فقال تعالى: ﴿بَيَّنَّا لِلنَّاسِ أَدْرَأَوْا نَعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْفَعُونَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تَوْفِيقَهُ لَا يَأْتِيهِ الْغُشْيُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلْقًا﴾ (القرآن. فاطر: ٣٥: ٣). ثم نفى تعالى أن يكون غيره خالفاً فقال تعالى: ﴿بَيَّنَّا لِلنَّاسِ صُورَةَ مَثَلٍ قَاتِمَةٍ لِقَائِهِمْ يَوْمَ يَدْعُوتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يُخْلَقُوا دُبابًا وَلَا وِلْدَانًا وَمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ لِيَبْغُوا فَتًى لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (القرآن. الخج: ٢٢: ٧٣). ثم سألهم تحكيم عقولهم فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ خَلَقَ كُنَّ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (القرآن. النحل: ١٦: ١٧). بل إن الذين لا يخلقون هم مخلوقون قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (القرآن. النحل: ١٦: ٢٠).

(١٣١) السعدي. ١٤٢٠هـ. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٥٠٦.

وكذلك إعداد العباد بالإيمان بملكية الله ﷻ لخلقهم؛ إنما يتحقق بالإيمان بأن الذي يخلق يستحق أن يملك قال ﷻ: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (القرآن. الملك ٦٧: ١). وملكه على الحقيقة والشمول والكمال؛ فهو ملك الملوك؛ قال ﷻ: «لا مَلِكَ إِلاَّ اللهُ»^(١٢٢)؛ فكل ملك غيره مهما تعاضم ملكه فهو مملوك، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (القرآن. فاطر ٣٥: ١٣).

فإذا أُعِدَّ العبد بإفراد الله ﷻ بالخلق والملك؛ وأنه ﷻ خالق كل شيء، حصل له بهذا الإيمان ثمار عظيمة وأورثه الله اليقين وامتثال أوامر رب العالمين؛ ومن هذه الثمار على سبيل المثال لا الحصر:

أَنَّ إفراد الله ﷻ بالخلق يُورثُ عند العبد الإيمان بالقدر، واليقين بأن أفعاله مخلوقة مملوكة كذلك لله ﷻ، وأنها واقعة بمشيئته ﷻ، ومع ذلك فإن للعبد كسب ليختار، فلذلك قال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (القرآن. البلد ٩٠: ١). وإفراد الله ﷻ بالخلق يُورثُ عند العباد امتثال الأوامر والإرشاد؛ كالاتباع عن تصوير ذوات الأرواح ومنازعة الملك ﷻ زوراً في اختصاصه بصفة الخلق، قال ﷻ عن الذين يصورون الصور والتماثيل قال ﷻ في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخُلقي؟ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»^(١٢٣)

وكذلك إفراد الله ﷻ بالملك يُعِدُّ العبد بالإيمان بأن هذا الكون الفسيح من خلق الله ﷻ وتحت ملكه؛ فيورثه استشعار عظمة الله ﷻ وإتقانه؛ فيخشاه ويتقيه حق تقائه، ويتصاغر في عينه ملوك الأرض وطواغيتها، لمعرفة بضعفهم بجناب الخالق ﷻ، قال ﷻ: ﴿لَا خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن. غافر ٤٠: ٥٧).

(١٢٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الأدب. باب تحريم التسمي بملك الأملك، وملك الملوك. ج. ٣: ص. ١٦٨٨. برقم ٢١٤٣.
(١٢٣) المصدر نفسه. كتاب اللباس والزينة. باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة. ج. ٣: ١٦٧١. برقم ٢١١١.

وإن أعظم ثمرة من ثَمَارِ الإِعْدَادِ بالإِيمَانِ بالرُّبُوبِيَّةِ؛ أنْ يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّالَهُ لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثًا -حاشاه- وإنما خلقه لعبادته جَلَّالَهُ حيثُ قَالَ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القرآن. الذاريات ٥٦: ٥٦). فالعبادة والطاعة تكون للرب الخالق وللملك المالك.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: إِفْرَادُ اللَّهِ جَلَّالَهُ بِالتَّدْبِيرِ وَالْأَمْرِ وَالْحَاكِمِيَّةِ:

أي الإِيمَانُ بِأَنَّ لَا مُدَبِّرَ لِأُمُورِ الْعِبَادِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ الدَّقِيقِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّالَهُ، وَلَا مُشْرِعَ لَهُمْ وَلَا حَاكِمَ بَيْنَهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّالَهُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّالَهُ: ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (القرآن. السجدة ٣٢: ٥٥).

وكذلك الإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّبَّ جَلَّالَهُ الَّذِي يَدِيرُ أُمُورَ الْعِبَادِ وَيُرِيهِمْ، فَإِنَّهُ وَحْدَهُ جَلَّالَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّشْرِيعَ لَهُمْ وَحُكْمَهُمْ بِتَشْرِيعِهِ وَمُشِيئَتِهِ. قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ٥٧).

ولقد أَعَدَّ اللَّهُ جَلَّالَهُ عِبَادَهُ بِالرُّجُوعِ لِحُكْمِهِ وَتَشْرِيعِهِ لَهُمْ قَالَ جَلَّالَهُ: ﴿ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (القرآن. الممتحنة ٦٠: ١٠). وَقَالَ جَلَّالَهُ: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١٠).

ولقد بعث الله رُسُلَهُ ﷺ، وَأَعَدَّهُمْ بِأَنَّ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَسَلَّ جَلَّالَهُ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (القرآن. البقرة ٢: ٢١٣). وكان على رأسهم نبينا الحكيم ﷺ؛ حيثُ أَعَدَّهُ اللَّهُ جَلَّالَهُ وَأَمَرَهُ بِالْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَحَذَرَهُ مِنْ اتِّبَاعِ أَحْكَامِ الْبَشَرِ فَقَالَ لَهُ: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَأَحْذَرُوا أَنْ يَفْسُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٩).

ولقد حذر الله ﷻ عباده من التحاكم إلى حكم غيره من طواغيت الأرض في آيات كثيرة، فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَرْغَبُونَ عَنْهُمُ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (القرآن. النساء: ٤: ٦٠). قَالَ الإمام محمد بن المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْأَضْوَاءِ: "لَمَا كَانَ التَّشْرِيعُ، وَجَمِيعُ الْأَحْكَامِ؛ شَرْعِيَّةً كَانَتْ؛ أَوْ كُونِيَّةً قَدْرِيَّةً؛ مِنْ خِصَائِصِ الرَّبُوبِيَّةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ، كَانَ كُلُّ مَنْ اتَّبَعَ تَشْرِيعًا غَيْرَ تَشْرِيعِ اللَّهِ ﷻ قَدْ أَخَذَ ذَلِكَ الْمَشْرِعَ رِبَاءً، وَأَشْرَكَهُ مَعَ اللَّهِ ﷻ" (١٣٤).

ولقد نفى الله ﷻ الإيمان عن تحاكم إلى غير شرعه، فقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (القرآن. النساء: ٤: ٦٥). قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُخْتَارِ الشَّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْعَذَبِ النَّمِيرِ: "لَيْسَ لِأَحَدٍ الْبَتَّةَ تَشْرِيعٌ مَعَ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ تَشْرِيعًا وَضَعِيًّا، سِوَاءَ سَمَاءٍ نِظَامًا، أَوْ قَانُونًا، أَوْ دَسْتُورًا مِنَ التَّشَارِيعِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا إِبْلِيسُ عَلَى السِّنَّةِ أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْكُفْرَةِ؛ فَبِهِ ذَلِكَ الَّذِي اتَّبَعَ تَشْرِيعَهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ كُفْرًا بُوَاحًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ" (١٣٥).

فَإِذَا أُعِدَّ الْعَبْدُ بِأَفْرَادِ اللَّهِ ﷻ بِالتَّوْبَةِ وَالْأَمْرِ وَالْحُكْمِ؛ وَأَنَّهُ ﷻ مُتَّفَرِّدٌ بِالْحَاكِمِيَّةِ، وَجِبَ عَلَيْهِ تَحْكِيمُ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ التَّشْرِيعَ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ ﷻ لِعِبَادِهِ يَمْتَّازُ بِأَنَّهُ شَامِلٌ، وَكَامِلٌ، وَحَكِيمٌ، وَفِي غَايَةِ الْحُسْنِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (القرآن. المائدة: ٥: ٥٠). كَيْفَ لَا؟! وَهُوَ تَشْرِيعُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ ﷻ. قَالَ ﷻ: ﴿لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ (القرآن. التين: ٩٥: ٨).

(١٣٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. ١٤١٥هـ. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. ج. ٧. ص. ٥٣.
(١٣٥) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. ١٤٢٦هـ. العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. ج. ٢. ص. ٧٥.

الخطوة الرابعة: الإعداد بالإيمان بالوهية الله ﷻ، وتوحيده بأفعال العباد.

بعد أن يُعَدَّ العبد بالإيمان بأسماء وصفات الرب العظيم ﷻ بالإجمال وعلى العموم؛ وبعد إعداده على وجه الخصوص بالإيمان باسم الله (الرَّبِّ) ﷻ وصفة الربوبية المشتقة منه؛ وجب إعداده على وجه أخص الخصوص بالإيمان باسم الرب (الله) ﷻ وصفة الألوهية المشتقة منه؛ قَالَ العز بن عبد السلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "فَإِنَّ الْأُلُوهِيَّةَ تَرْجِعُ إِلَى اسْتِحْقَاقِ الْعُبُودِيَّةِ؛ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعُبُودِيَّةَ إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ... وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّ الْعُبُودِيَّةَ لِمَا وَجِبَ لَهُ مِنْ أَوْصَافِ الْجَلَالِ وَنِعْمَتِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَلَا يَعِدُهُ الْعَادُونَ" (١٣٦).

فالألوهية: تعني إفراد الله ﷻ والإخلاص له، وتوحيده وحده لا شريك له، بجميع العبادات الاعتقادية، والقولية، والفعلية، الظاهرة منها والباطنة، والإيمان بالألوهية شرط لقبول إسلام العبد.

فمن آمن بوجود الله، وأسمائه وصفاته، وربوبيته، وأشرك مع الله آلهة أخرى بعبادته؛ فلن يُقبل إسلامه، ويجب إعداده لتوحيد الله بالألوهية ويُفَرِّدُهُ بِعِبَادَتِهِ لِيُقْبَلَ إِسْلَامُهُ، وَيَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٣٦﴾﴾ (القرآن. المائدة: ٥: ٧٢).

إن إعداد العباد بتوحيد الألوهية، وإفراد الله ﷻ بالعبادة؛ يُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ وَأَعْظَمِ خَطَوَاتِ الْإِعْدَادِ، فَمَنْ أَجَلَّهُ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُنِي﴾ (القرآن. الذاريات: ٥١: ٥٦). ومن أجله أنزل الله ﷻ الكتب وأرسل الرُّسُلَ؛ فكان أول ما يدعون له الناس ويُعِدُّوهُمْ بِهِ؛ هو توحيد الألوهية، ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (القرآن. الأنبياء: ٢١: ٢٥).

(١٣٦) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. ١٤١٣هـ. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي. الطبعة الثانية. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ج. ٨. ص. ٢٢١.

فاستجاب الرُّسل والأنبياء لله ﷻ واتفقت كلمتهم جميعاً بقولهم لأقوامهم: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ عِندَهُ﴾ (القرآن. الأعراف: ٧: ٨٥). قَالَ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله في تأويلات أهل السنة (١٣٧): أي:

"أن الرسل إنما جاءوا، وبعثوا بالدعاء إلى توحيد الله، والعبادة له، وأن لا معبود يستحق العبادة سواه".

فعلى الإعداد بالإيمان بتوحيد الألوهية؛ اتفقت رسالات الرسل، ونبوءات الأنبياء جميعهم ﷺ

منذ نوح عليه السلام أول رسول بُعث للبشرية بعد إشراكها، والذي قَالَ عنه الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ عِندَهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (القرآن. الأعراف: ٧: ٥٩). وإلى

خاتم المرسلين والسيين محمد ﷺ الذي كان أول دعوته وإعداده لقومه؛ بدعوتهم إلى توحيد الألوهية؛ بقوله

ﷺ لهم: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا» (١٣٨).

وكان ﷺ يُعَدُّ صحابته رضي الله عنهم ويبياعهم أول ما يبياعهم بقوله لهم: «تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا

بالله شيئاً» (١٣٩). وكان ﷺ يُعَدُّ رُسُلَهُ إلى الملوك والأقوام ويأمرهم أن أول ما يبدؤون به في إعدادهم هو

دعوتهم إلى توحيد الألوهية، فمثلاً قَالَ لِعَازِذِ بْنِ أَبِي سُوَيْبَةَ لما بعثه داعياً إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم من أهل

الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى» (١٤٠). ومن أبي منهم توحيد الألوهية وأشرك

برب البرية؛ أَعَدَّ اللهُ ﷻ نبيه ﷺ لجهادهم وقتالهم في سبيل توحيدِهِ، ولتكون كلمته ﷻ هي العليا وكلمة

الذين كفروا السفلى؛ ولذلك قَالَ ﷺ في الحديث المتواتر عنه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله

إلا الله، فمن قَالَ: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله» (١٤١).

(١٣٧) الماتريدي. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة. ج. ٤. ص. ٤٩٢.

(١٣٨) زَوَاهُ ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق. صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. ١: ٨٢. برقم ١٥٩. قَالَ مُحَقِّقُهُ الأعظمي: إسناده صحيح.

(١٣٩) زَوَاهُ البُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة. ج. ٥: ٥٥. برقم ٢٨٩٢.

(١٤٠) المصدر نفسه. كتاب التوحيد. باب دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ﷻ. ج. ٩: ١١٤. برقم ٧٣٧٢.

(١٤١) المصدر نفسه. كتاب المغازي. باب مرض النبي ﷺ ووفاته. ج. ٩: ١٥. برقم ٤٤٤١.

بل وفي أحلك المواقف، وخلال وهج المعارك، لم ينس الرسول ﷺ حماية جناب التوحيد وإعداد صحابته وتثبيتهم عليه؛ فعن أبي وقيد اللثبي قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَتَى حَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يُعَلِّقُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا آلِهَةُ آلِهِمْ﴾ لَتَرْكَبَنَّ سَنَةً مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (١٤٢).

وعلى نصح التوحيد والدعوة له وحراسته؛ عاش ومات بأبي هو وأمي ﷺ؛ حتى سكرات الموت لم تُنسه ﷺ صون التوحيد، وإلى آخر نفس كان ﷺ يُعِدُّ أصحابه بتوحيد الألوهية ويحذرهم ضلال الأمم قبلهم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، قَالَتْ أَمْنَا عَائِشَةُ: لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ؛ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا؛ يُحْدِرُ مَا صَنَعُوا (١٤٣).

وَيَتَحَقَّقُ الإِعْتَادُ بِالإِيمَانِ بِأَلُوهِةِ اللَّهِ ﷻ حَسَبَ الْمَنْهَجِ الْقُرْآنِيِّ بِطُرُقٍ عِدَّةٍ مِنْهَا:

الطَّرِيقَةُ الأُولَى: طَرِيقَةُ الإِلْزَامِ بِتَوْحِيدِ الأَلُوهِةِ؛ لِمَنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ:

ويتحقق ذلك بإعداد العبد بالإيمان بربوبية الله ﷻ أولاً، ومُحَاجَّتَهُ بِهَا؛ لاستخدامها كوسيلة ودليل لإعداد العبد بالإيمان بألوهية الله ﷻ، وذلك لأن أغلب العباد مُقَرَّرِينَ وموقنين بربوبية الرب ﷻ بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، فأغلب الخلق يعلمون أن الله ﷻ ربهم وخالقهم ومليكنهم ومدبر أمرهم ورازقهم. قَالَ ﷻ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) (القرآن. الدخان ٤٤: ٧). أي: "هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما؛ إن كنتم تعلمون الله ربُّ ما ذكر؛ فكيف تُصِرُّونَ للعبادة واسم الألوهية إلى من ليس بربِّ؟! لِمَا ذُكِرَ أَنَّ الإِيْقَانَ هُوَ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ حَقِيقَةً" (١٤٤).

(١٤٢) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى. ١٤٠٤هـ. مَسْنَدُ أَبِي يَعْلَى. تَحْقِيقُ حَسَنِ سَلِيمِ أَسَدٍ. دِمَشْقُ: دَارُ المَأْمُونِ لِلتَّرَاثِ مَسْنَدُ أَبِي يَعْلَى المَوْصِلِيِّ. ج. ٣: ٣٠. بِرَقْمِ ١٤٤١. قَالَ مُحَقِّقُهُ حَسَنِ سَلِيمِ أَسَدٍ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(١٤٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ. ١٤٢٦هـ. صَحِيحُ البُخَارِيِّ. كِتَابُ الجَنَائِزِ. بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ. ج. ٢: ١٠٢. بِرَقْمِ ١٣٩٠.

(١٤٤) أَبُو مَنْصُورِ المَاتَرِيْدِيِّ. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م. تَفْسِيرُ المَاتَرِيْدِيِّ أَوْ تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السَّنَةِ. ج. ٩. ص. ١٩٨.

ولقد استخدم الله ﷻ أدلة توحيد الربوبية في القرآن الكريم؛ لُجِدَّ بها عباده بالإيمان بألوهيته،
وإلزامهم توحيده ﷻ، وإفراده بعبادتهم له. فأعدَّ الله ﷻ نبيه ﷺ ليستخدم مع المشركين أسلوب سؤالهم
وتقريبهم بتوحيد الربوبية؛ لُجِدَّهم ويُزَمُّهم بتوحيد الألوهية، فقال ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
يُؤْفَكُونَ﴾ (القرآن. الزخرف ٤٣: ٨٧).

فالمشركون مؤمنون بتوحيد الربوبية، ومقرون بأن الله ﷻ ربهم، وهو خالقهم، ومليكمهم، ومدبر
أمورهم؛ ولكنهم يُشركون مع الرَّبِّ ﷻ في عبادتهم آلهة أخرى من البشر، أو الحجر، أو الحيوان، أو الجن.
قَالَ الإمام ابن كثير رحمته: "وكتيراً ما يُقَرَّرُ تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون
يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في قلوبهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك" (١٤٥).
والآيات الدالة على منهجية الإلزام بتوحيد الألوهية لمن أقر بتوحيد الربوبية كثيرة؛ منها قوله ﷻ:
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام ١٠١) وَاللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ قَرَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَالْحَيَاةِ الْآرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ (الغافر. العنكبوت ٢٩: ٦١ - ٦٣).

أي: يا محمد ﷺ احمد الله ﷻ على إقرارهم بالربوبية التي فطرهم الله عليها لتُجِدَّهم بعد ذلك
للإقرار بالألوهية. قَالَ الإمام ابن الجوزي رحمته: "وإنما أمره ﷻ أن يقول: الحمد لله على إقرارهم، لأن ذلك
يُلزِمهم الحُجَّةَ فيوجب عليهم التوحيد" (١٤٦).

فمن وَحَّدَ الله ﷻ رَبَّاً؛ وَجَبَ عليه توحيده ﷻ الإله. أي أن الرَّبِّ؛ خالق العباد ومليكمهم ومدبر
أمورهم؛ هو وحده من يستحق العبادة وصرف الأفعال له وحده لا شريك له.

(١٤٥) ابن كثير. ١٤٢٠هـ. تفسير القرآن العظيم. ج. ٦. ص. ٢٩٤.

(١٤٦) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ١٤٢٢هـ. زاد المسير في علم التنسير. تحقيق عبد الرزاق المهدي.
بيروت. دار الكتاب العربي. ج. ٣. ص. ٤١٣.

ولهذا كان الرسول ﷺ يُعِدُّ أُمَّتَهُ بِأَعْظَمِ دَعَاءٍ؛ وَأَسْمَاءِ سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ الَّذِي مِنْ قَالِهِ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا فِيهِ مِنْ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ. قَالَ ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مَوْقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (١٤٧)

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ: طَرِيقَةُ إِعْدَادِ الْعَبْدِ بِالْأُلُوهِيَّةِ؛ بِشَهَادَةِ اللَّهِ ﷻ عَلَى أُلُوهِيَّتِهِ:

أَيُّ بَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ رَبَّهُ ﷻ الَّذِي آمَنَ بِوُجُودِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَرَفَ صِدْقَهُ مِنْ صِفَاتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (القرآن. النساء: ٨٧). فَاللَّهُ ﷻ هُوَ ذَاةٌ مِنْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَشَهِدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ ﷻ، وَأَنْبِيَآؤُهُ ﷻ، فَقَالَ ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (القرآن. آل عمران: ١٨).

وَلَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ؛ بَانَ يَدْعُو الْمُشْرِكِينَ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ بِدَلِيلِ الشَّهَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى صِدْقِ الرِّسَالَةِ النَّبَوِيَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ ﷻ بِالْأُلُوهِيَّةِ؛ فَقَالَ لَهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْدِيكُمْ لِتُشْهِدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (القرآن. الأنعام: ٦: ١٩). فَعَنِ التَّابِعِيِّ مَجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَمَرَ اللَّهُ ﷻ مُحَمَّدًا ﷺ، أَنْ يَسْأَلَ فَرِيضًا أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَخْبِرَهُمْ فَيَقُولَ: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾» (١٤٨).

(١٤٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الدعوات. باب أفضل الاستغفار. ج. ٨: ٦٧. برقم ٦٣٠٦.

(١٤٨) مجاهد بن جبر التابعي المكي. ١٤١٠ هـ. تفسير مجاهد. تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل. مصر: دار الفكر الإسلامي. ص. ٣٢٠.

الطريقة الثالثة: إثبات ألوهية الله ﷻ بطريقة تسفيه آلهة المشركين والأندَاد:

ومن الطرق التي استخدمها القرآن في إعداد العباد بإفراد الله ﷻ بالألوهية؛ طريقة تسفيه الآلهة والأندَاد التي تعبد من دون الله، وبيان مدى عجزها، وأنها لا تستحق العبادة؛ لأنها لم تخلق، ولم تملك، ولم تدبر أمور العباد، بل هي مخلوقة مملوكة تحتاج من يدبر أمرها. قَالَ ﷻ مُبِيناً عِزَّ آلِهَتِهِمْ: ﴿إِنَّ شِرْكَونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَذْعُونَهُمْ أَمْ أَلْتُمْتُمْ صِهْرَهُمْ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَثْمَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَإِن كُنتم صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (القرآن، الأعراف ٧: ١٩١ - ١٩٤).

وقال ﷻ مستهلاً على ألوهيته بأنه هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وهو أحق بالعبادة من آلهة مخلوقة، بل كالأموث لا تشعر: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩٤﴾ أَمْ أَوْتُوا غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٩٥﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿١٩٦﴾﴾ (القرآن، البقره: ٢٠ - ٢٢). وقال ﷻ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (القرآن، الدخان ٤٤: ٨). أي: "لا معبود يستحق العبادة سواه ﷻ؛ لأن الإله هو المعبود عند العرب؛ فيقول ﷻ: لا تستحق الأشياء التي يعبدون العبادة؛ إنما المستحق لها هو الذي لا إله غيره. أي: لا يستحق اسم الألوهية إلا هو ﷻ، لا الأشياء التي سميتوها" (١٩٦). فإله ﷻ هو الإله الوحيد في السماوات وفي الأرض كذلك؛ قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْكَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٩﴾﴾ (القرآن، البقره: ١٧٩). قَالَ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله (١٥٠): "الإله في اللغة هو المعبود؛ كأنه يقول - والله أعلم - : إنكم تعلمون أن الله ﷻ هو المعبود في السماء، وهو المعبود في الأرض، والأصنام التي تعبدونها أنتم لا يعبدونها إلا أنتم، فكيف تركتم عبادة المعبود الذي هو معبود في السماء والأرض، واخترتم عبادة من ليس بمعبود إلا بعبادتكم؟!".

(١٩٤) أبو منصور الماتريدي. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة. ج. ٩. ص. ١٩٨.

(١٥٠) المصدر نفسه. ج. ٩. ص. ١٩٠.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

تَمَارُ الإِعْدَادِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ

إن الثمار المرجوة من إعداد الفرد والأمة بالإيمان بالله ﷻ ووجوده، وتوحيده بأسمائه وصفاته، وربوبيته، وألوهيته؛ كثيرة لا تُحصى بقدر نعم الله التي لا تُحصى؛ وهل جعلت نعم الله ﷻ إلا لعباده المؤمنين؟! قَالَ ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا...﴾ (١٨) ﴿القرآن. النحل ١٦: ١٨﴾. وسيذكر الباحث بعضاً من تلك

الثمار؛ لتحريض النفوس على الإِعْدَادِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ فَتُعَدَّ العِدَّةَ الإِيمَانِيَّةَ وتتهيأ بما:

١. الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يُثْمِرُ صِحَّةَ الإِسْلَامِ وَسَلَامَةَ الإِيمَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿... وَالْهُنَاءُ وَالْهُمُكُورُ وَجِدُّوْا مَن لَّهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٩) ﴿القرآن. العنكبوت ٢٩: ٤٦﴾. أي: "ونحن

له منقادون بالطاعة، متذللون بالعبادة، مفرزون له بالألوهة والربوبية، وأنه لا إله غيره" (١٥١).

٢. الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يُحَقِّقُ صِلَاحَ الْقَلْبِ، وَصَدَقَ التَّدْبِيرِ، وَحَقِيقَةَ الإِيمَانِ:

إن حقيقة الإيمان تنبثق من قلب المؤمن فتزهر جوارحه؛ ليصدق تدينه ويصح إسلامه، فلا تنصلح الجوارح ولا يستقيم التدين إلا إذا سبقه الإيمان الصادق؛ ولهذا أنكر الله ﷻ على مسلمي الأعراب زعمهم الإيمان بلسان مقامهم قبل تحقيقه في قلوبهم وواقع حالهم؛ قَالَ ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَا كُنْ قَوْلًا أَسْمَتْنَا لَمَّا دَخِلَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ (٢٠) ﴿القرآن. الحجرات ٤٩: ١٤﴾.

ولقد قدم الله ﷻ الإِعْدَادَ بِالْإِيمَانِ عَلَى الإِعْدَادِ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ؛ "لِلتَّنْبِيهِ عَلَى

أَنَّ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَشْرَفُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ" (١٥٢).

(١٥١) الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٦. ص. ٥٧٠.

(١٥٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. ١٤٢٠ هـ. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. ٥. ص. ٢١٥.

ولذلك قَالَ ﷺ مُعَدَّأُ أُمَّتِهِ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ لِتَصْلَحَ لَهُمُ الْجَوَارِحُ وَالْأَرْكَانُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (١٥٣).

٣. الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يُسْتَجَلَبُ بِهِ هِدَايَةُ الرَّحْمَنِ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (القرآن. الحج: ٢٢: ٥٤). فالذين آمنوا يهديهم الله ﷻ أصوب وأسلم الطرق الموصلة إلى الجنة؛ وكلما اهتموا بالإيمان زادهم هدى: قَالَ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآيَاتٍ تَقْتُلُهُمْ﴾ (القرآن. محمد: ٤٧: ١٧). ويهدي الله قلوبهم عند المصائب للصبر والاحتساب من فضله الكرم، قَالَ ﷻ: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (القرآن. التغابن: ٦٤: ٩).

٤. الإِعْدَادُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ مُعِينٌ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَحِصْنٌ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ:

قَالَ اللهُ ﷻ مُخَذَّرًا وَمُقَنْطَلًا الشَّيْطَانَ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانٌ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (القرآن. الحجر: ١٥: ٤٢). وَقَالَ ﷺ مُحْصِنًا أُمَّتَهُ مِنَ الْعِصْيَانِ: «لَا يَزِينِي الرَّأْيُ حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ» (١٥٤).

وقد قَالَ شاعر الزهد أبو العتاهية متعجباً من العصاة والكفرة بخناب التوحيد (١٥٥):

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ *** كَيْفَ يُجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ *** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

(١٥٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب فضل من استنزل ليدنيه. ج. ١: ٢٠. رقم ٥٢.

(١٥٤) المصدر نفسه. كتاب الحدود. باب إنج الثناة. ج. ٨: ١٦٤. رقم: ٦٨١٠.

(١٥٥) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم. ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. ديوان أبي العتاهية. (شعر). بيروت: دار بيروت. ص. ١٠٤.

٥. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ سَبَبٌ لِّوَلَايَةِ ذِي الطُّوْلِ وَالسُّلْطَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (القرآن. البقرة ٢: ٢٥٧). ومن تولاه الله ﷻ نصره، وأعانته، وحفظه، وقواه على أعدائه؛ فلا يخشى أحداً إلا الله. قَالَ ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (القرآن. محمد ٤٧: ١١). فمن حقق الإيمان كان بمعية الرحمن، قَالَ ﷻ: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن. الأنفال ٨: ١٩).

٦. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يَسْتَجْلِبُ رِزْقَ الْمَتَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ٩٦). فبتحقيق الإيمان يبارك الله ﷻ برزق الإنسان، وفي عمره، وماله، وأهله، وولده، وجميع شأنه. قَالَ ﷻ: ﴿مُعِدًّا أُمَّتَهُ بِحَقِيقَةِ التَّوَكُّلِ النَّابِعِ مِنْ صِدْقِ الْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعُدُّوْا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (١٥٦).

٧. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ سَبَبٌ لِصَلَاحِ الشَّانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ لَمْ يَذَكَرْ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القرآن. السجدة ١٦: ٩٢). فلقد وعده الله ﷻ عباده المؤمنين؛ بأن يحييهم حياة طيبة، ويصلح شأنهم في الدنيا، ويجزيهم الجنة في الآخرة على إيمانهم. قَالَ ﷻ: ﴿عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١٥٧).

(١٥٦) رواه أحمد بن حنبل. ١٤٢١ هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ١: ٢٥٢. رقم ٢٠٥. قَالَ مُحْتَفُهُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(١٥٧) رواه مسلم. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الزهد والرفق. باب المؤمن أمره كله خير. ج. ٤: ٢٢٩٥. رقم ٢٩٩٩.

٨. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيْدِهِ؛ يُحَقِّقُ الْعِزَّةَ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القرآن. المنافقون ٦٣: ٨). فأهل الإيمان؛ هم أولياء الرحمن،

وهم أهل العزة والإحسان، أما أهل النفاق، وأولياء الشيطان؛ هم أهل الذل والمهانة والخسران.

٩. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيْدِهِ؛ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالتَّحَابَّ بَيْنَ عِبَادِ الرَّحْمٰنِ:

قَالَ ﷻ: ﴿ إِنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ﴾ (القرآن. مريم ١٩: ٩٦).

فترى المؤمن الحق؛ بحبه الله ﷻ، وملائكته ﷻ، وعباده المؤمنين؛ فتراه مألوفاً يألف ويؤلف. قَالَ

ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مَعْشَرُهُمْ أُوْلِيَآءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ﴾ (القرآن. التوبة ٩: ٧١). فالإيمان والحب متلازمان؛

بل لا إيمان كامل إلا للمتحابين في رضى الرحمن، قَالَ ﷻ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا

تُؤْمِنُوا حَتَّى تُحَابُّوا، أَلَا أُدْرِكُكُمْ عَلَى مَا تُحَابُّونَ بِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللّٰهِ. قَالَ: أَفْشُوا السَّلَامَ

بَيْنَكُمْ» (١٥٨). وَقَالَ ﷻ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١٥٩).

١٠. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيْدِهِ؛ يُحَقِّقُ الدِّفَاعَ عَنِ أُوْلِيَآءِ الرَّحْمٰنِ:

قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾ (القرآن. الحج ٢٢: ٣٨). فالمؤمنون في حماية الله، وهو

بعزته وجلاله من يُدافع عنهم ويدفع كل شر أو طاعوت يترص بهم، بل لقد أعلن الله ﷻ الحرب

على من يعادي أولياءه من أهل الإيمان، ففي الحديث القدسي قَالَ ﷻ: «إِنِ اللَّهُ ﷻ قَالَ: مَنْ

عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب...» (١٦٠).

(١٥٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَغِيْرَةِ. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. صحيح الأدب المفرد. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

الجيل: دار الصديق للنشر والتوزيع. ص. ٣٧٧. برقم ٧٥٥.

(١٥٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقائق. باب التواضع. ج. ١: ١٢. برقم ١٣.

(١٦٠) المصدر نفسه. كتاب الرقائق. باب التواضع. ج. ٨: ١٠٥. برقم: ٦٥٠٢.

١١. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيْدِهِ؛ شَرْطٌ لِلنَّصْرِ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن. الروم ٣٠: ٤٧). قَالَ الْمُفَسِّرُ رَشِيْدٌ رَضِيَ (١٦١):

"وهو نص في تعليل النصر بالإيمان". فالإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ النَّصْرِ؛ وَالنَّصْرُ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ

التَّمَكِّيْنِ، وَالتَّمَكِّيْنُ يُعَدُّ الثَّمَرَةُ الْكُبْرَى لِإِعْدَادِ الْأُمَّةِ. بَلْ أَنْ مِنْ حَقِّقِ الإِعْدَادَ بِالْإِيْمَانِ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ

ﷻ يَبْشِرُهُ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (القرآن. غافر ٤٠: ٥١). وَنَصْرُ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ نَصْرِ الدُّنْيَا؛ فَقَدْ

وَصَفَهُ اللّٰهُ ﷻ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ؛ وَهِيَ غَايَةُ الْغَايَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُؤْتَوْنَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَبِّحْهُ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْ الْجَنَّةَ فَمَا تَشَاءُ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾ (القرآن. آل عمران ٣: ١٨٥).

١٢. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيْدِهِ؛ يُنَجِّي مَنْ تَسَلَّطَ أَهْلُ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٤١). وَمِنْ اسْتِجَارِ

بِأَسْمَاءِ اللّٰهِ الْحِسَانِ؛ أَجَارَهُ مِنْ ظَلَمِ السُّلْطَانِ، فَغَنَّ الصَّحَابِيُّ عَبْدَ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: "إِذَا

كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ إِمَامٌ يَخَافُ تَغْطِيْمَهُ، أَوْ ظَلَمَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ وَأُخْرَابِهِ مِنْ خَلَائِقِكَ؛ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ

مِنْهُمْ، أَوْ يَطْعَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" (١٦٢). فَمَنْ أَحَدَّ نَفْسَهُ بِالْإِيْمَانِ

وَتَوَلَّى الرَّحْمَنَ نَجَى مِنْ تَسَلُّطِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ.

(١٦١) محمد رشيد بن علي رضا. ١٩٩٠ م. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج. ٧. ص. ٣١٧.

(١٦٢) رَوَاذُ الْبُخَارِيِّ. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. صحيح الأدب المفرد. ص. ٢٦٣. برقم ٥٤٨.

١٣. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يُحَقِّقُ الْاِسْتِخْلَافَ، وَالتَّمَكِّيْنَ، وَالْأَمَانَ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْاَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (القرآن. النور: ٥٥). وهذا وعد من الله ﷻ للمؤمنين؛ أهم إذا حققوا الإيمان به ﷻ وفق منهجية القرآن، وطريقة النبي العدنان، سيُحَقِّقُ لهم التمكين والاستخلاف في الأرض، والأمن والأمان، والعيش برضى الرحمان، وكرم المنان.

١٤. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ سَبَبٌ لِتَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (القرآن. الانعام: ٨٢). إن ما تعانيه الأمة الإسلامية؛ بل البشرية جمعاء في هذا الزمان من حروب وفتن وابتلاءات شتى؛ إنما سببه الرئيس هو الخلل في إيمان أفرادها وضعفه، وما شابهه من شوائب تُنْقِصُهُ بل تُنْقِضُهُ، ولهذا لا بد لِلأُمَّةِ من الاستعداد بالإيمان لِتُحَقِّقَ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ في ربوعها.

١٥. الإِعْدَادُ بِالْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ؛ يُورِثُ مَخَافَةَ الرَّحْمَنِ وَتَهْلُ الْجِنَانِ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿١٦٣﴾﴾ (القرآن. الرحمن: ٥٥: ٤٦). أي: "إن لله مقاماً قد خافه المؤمنون" (١٦٣) وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسِيَ ﴿١٦٤﴾﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٦٤﴾﴾ (القرآن. النازعات: ٧٩: ٤١). وَقَالَ اللهُ ﷻ في الحديث القلبي: «وعزِّي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمتين، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَحَقَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمِنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٦٤).

(١٦٣) الطبري. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٢٣. ص. ٥٧.

(١٦٤) رواه ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله. ١٤١٩ هـ. الزهد والرفائق لابن المبارك. ج. ١. ص. ٥١.

خُلاصَةُ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ:

ناقش هذا الفصل؛ ماهية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ، وأهميته. وكيفية الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده؛ وذلك من خلال الإعداد بالإيمان بأن الله ﷻ واحدٌ أحدٌ بوجوده بنفسه ولذاته ويستحيل عليه العدم؛ وما سواه فمُوجدٌ بعد عدم، ومعدوم بعد وجود، والإيمان بأن الله ﷻ واحدٌ أحدٌ في أسمائه وصفاته، وواحدٌ أحدٌ في ربوبيته، وواحدٌ أحدٌ في ألوهيته. ثم استنباط ثمار الإعداد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA